

دراسات

القدس كمكان هجرة داخلية لنساء فلسطينيات شابات من الجليل والمثلث

أسمهان مصري- حرزالله

طالبة دكتوراه في قسم الجغرافيا بالجامعة العبرية ومحاضرة في الكلية الأكاديمية بيت بيرل

مدخل

إن نزعة السكّان الفلسطينيين في إسرائيل لهجرة مكان سكنهم والانتقال إلى المدن الكبيرة، حيث فرص العمل والحراك الاقتصادي أكبر، هي نزعة متواضعة جداً بفعل العراقيل الداخلية والخارجية. تتبع العراقيل الداخلية من عوامل ثقافية واجتماعية تميّز المجتمع الفلسطيني لكونه مجتمعاً بطرقيّاً وسلطويّاً وهرميّاً. أما العراقيل الخارجية فنتيجة عن الصراع الإسرائيلي-العربي وغياب المساواة واضطهاد وإقصاء السكّان الفلسطينيين في إسرائيل، إضافة إلى تسارع الهوية التي تفصل بين السكّان الفلسطينيين واليهود في البلاد. تقف جميع هذه العراقيل أمام فرص هجرة سكّان فلسطينيين إلى تجمعات يهودية وبخاصة إلى الحواضر المدنية الكبيرة.

على الرغم من هذه العراقيل نشهد في العقد الأخير عملية هجرة داخلية من بلدات عربية في إسرائيل إلى مدينة القدس، وعلى ما يبدو ينجح المهاجرون إلى القدس بالتغلب على هذه العراقيل الداخلية والخارجية. لم تتوقف الأبحاث عند هذه القضية باستثناء بحث واحد (منّاع 1997) ناقش مسألة الإسكان والتربية والتعليم القائمة بين هذه الفئة من المهاجرين من البلدات العربية إلى القدس في العقد المنصرم (التسعينيات). يناقش البحث الحالي مسألة قدوم نساء الفلسطينيات عازبات في جيل الشباب من بلداتهن في البلاد (داخل الخط الأخضر) إلى مدينة القدس لأغراض تعليمية أو للعمل، ويواصل الإقامة فيها بعد إنهاء الدراسة. إضافة إلى ذلك، يتطرق البحث الحالي

إلى المميزات الخاصة بهذه الفئة من النساء الشابات ومزايا المدينة الخاصة كمدينة مستوعبة للمهاجرين، وتفضيلهن أحياء سكنية معينة في المدينة، والتحوّلات الاجتماعية والاقتصادية التي تطرأ عليهن بعد الانتقال للسكن في القدس. اختار البحث الحالي التمحور حول النساء الفلسطينيات العازبات في جيل الشباب لأن عدم العودة إلى بلداتهن بعد التعليم أو بعد انتهاء فترة العمل لا يعتبر أمراً متعارف عليه في مجتمع تقليدي، حيث تقبع النساء هناك تحت رقابة اجتماعية صارمة. إضافة إلى ذلك، من شأن هذه الظاهرة أن تشير إلى تغيير اجتماعي عميق جداً ينطوي على هجرة داخلية إلى القدس تحديداً.

تعتبر هجرة هذه الفئة إلى القدس ظاهرة جديدة نسبياً ونشهد تعاضماً الشديداً في السنوات الأخيرة. بصورة عامة، تتبع هذه الظاهرة من غياب فرص العمل في البلدات العربية، وبخاصة في قطاعات ثلاثم نساء أكملن دراستهن الأكاديمية. هذه الفئة من النساء، اللواتي درسن في معاهد التعليم العالي الإسرائيلية في القدس كالجامعة العبرية وكليتي «دافيد يلين» و«هداسا»، تفضّل البحث عن فرص للعمل في القدس وضواحيها، وبخاصة في الأحياء الفلسطينية، تتلاءم وقدراتهن الخاصة ومجالات دراستهن بدلاً من العودة إلى بلداتهن الأصلية.

إن التجارب التي تختبرها هذه الفئة في فترة الدراسة أو العمل تساعدن على الانخراط في سوق العمل في القدس، على الرغم من التعقيدات البالغة القائمة في مدينة القدس تحديداً



دوافع الهجرة

انتقلت النساء المشاركات في العينة من بلدات عربية من منطقتي الجليل والمثلث إلى الإقامة في القدس، وقد تمّ تحديد نسبة النساء من كل منطقة بحسب نسبة سكاّن كل منطقة (الجليل والمثلث) من المجموع العام للفئات السكانية العربية المقيمة فيهما، ولكن العينة لا تضم نساء عربيات من منطقة النقب. تقيم النساء المشاركات في العينة في القدس ثلاث سنوات على أقل تقدير، و 26% منهن يقمن أكثر من سبع سنوات (جدول 1).

جدول 1 : نساء فلسطينيات من الجليل والمثلث مقيمات في القدس بحسب مكان الإقامة السابق وعدد سنوات الإقامة في القدس، 2004

مكان الإقامة السابق	العدد	النسب
الجليل	31	62
المثلث	19	38
المجموع	50	100
عدد سنوات الإقامة في القدس	العدد	النسب
3 - 4	5	10
5	14	28
6-7	18	36
أكثر من 7	13	26
المجموع	50	100

تشير نتائج الاستبيان إلى أن الدافع الأساس للانتقال من بلداتهن للسكن في القدس هو الدراسة في معاهد التعليم العالي، والاستمرار بالدراسة في هذه المعاهد كان الدافع وراء استمرار سكنهن في المدينة. وبشأن الاعتبارات التي وقفت خلف استمرار سكنهن في القدس تحديداً، على الرغم من الصراعات التي تميّز هذه المدينة، تشير النتائج إلى أن الأسباب المركزية هي جودة الحياة، والاستمرار بالدراسة في أحد معاهد التعليم العالي، وفرصة عمل ثلاثم المؤهلات الأكاديمية، ومردود مالي جيد، وأسباب أخرى مرتبطة بالتشغيل والقرب من مكان العمل. وتنسجم هذه الأسباب مع خصائص مجتمع الدراسة الذي يمر في طور الانتقال من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث. لا تزال أنماط الحياة في العائلة متأثرة بصورة كبيرة من الأنماط التقليدية، ولكن الدراسة والعمل وأجزاء كبيرة من المحيط الثقافي تدفع باتجاه تبني أنماط الحياة العصرية.

على أصعدة عديدة، منها الاجتماعية والديموغرافية والدينية والاقتصادية، الأمر الذي من شأنه أن يخلق محدوديات خاصة جديدة أمام فئة الدراسة (حوشن وآخرون 2004). خلافاً لدراسة مناع (1997) وفينغروود ومناع (Weingrod and Manna 1998)، اللذان خلصا إلى أن المهاجرين الفلسطينيين من إسرائيل إلى القدس يعيشون إشكالية هوية بسبب حالة الهامشية المزدوجة التي يتواجدون فيها، يشير البحث الحالي إلى أن هذه الفئة من النساء تندمج في أماكن العمل المختلفة في القدس وضواحيها وبخاصة في جهاز التربية والتعليم الحكومي ومكاتب الرفاه الاجتماعي.

هذا البحث هو الجزء الأول من بحث أشمل يقوم بدراسة مسألة هجرة عائلات فلسطينية من إسرائيل إلى القدس، وفي صلب هذا المشروع البحثي الادعاء بأن السكاّن الفلسطينيين المهاجرين إلى القدس يلعبون دور الوطاء بين القطاع الخاص والدوائر الحكومية الإسرائيلية وبين السكاّن الفلسطينيين في القدس الشرقية. تعرض القدس أمامهم طائفة من فرص العمل الخاصة بتقديم الخدمات العامة والتبادل التجاري لسكاّن القدس الذين يصل عددهم إلى نحو ربع مليون نسمة، وذلك بفعل الأفضلية التي يتحلون بها مقارنة مع سكاّن القدس الفلسطينيين واليهود. تعتبر هذه الفرصة الخاصة للاندماج في سوق العمل المقدسي أحد الأسباب الأساسية التي تساهم في الجاذبية للقدس وتحويلها إلى مكان لهجرة سكاّن فلسطينيين من إسرائيل إليها.

البحث ومنهجيته

يستند البحث الحالي إلى استبيان تمّ تنفيذه في نيسان 2004، ويعتمد على استمارة مبنية (structural questionnaire) أداة للبحث اشتملت بصورة عامة على أسئلة النهايات المغلقة، ولكنها ضمت أسئلة النهايات المفتوحة أيضاً والتي تهدف إلى التأكيد على أجوبة أسئلة النهايات المغلقة وتعزيز درجة مصداقيتها. شملت عينة البحث 50 شابة فلسطينية عازبة من إسرائيل قدمن من بلدات عربية مختلفة وأقمن في القدس لأغراض تعليمية أو للعمل، وتتراوح أعمارهن بين 22 عاماً و 43 عاماً. تمّ بناء العينة بحسب أسلوب العينة العنقودية (Snowball Sample)، تقوم وفقها كل شابة يتم مقابلتها بالتوصية على شابة أخرى لمقابلتها بحسب شبكة معارفها الخاصة. اتضح أن أسلوب الاستبيان هذا ملائم للبحث نظراً لغياب بنك معلومات يمكن من خلاله الحصول على قائمة بيانات حول نساء فلسطينيات انتقلن من بلدات عربية مختلفة في الجليل والمثلث للإقامة في القدس، إضافة إلى قلة عدد هذه الفئة السكانية.

جدول 3: نساء فلسطينيات من الجيل والمثلث يقمن في القدس، بحسب الجيل والانتماء الديني ودرجة التدين، 2004

الجيل	العدد	النسبة المئوية
30-22 عاماً	43	86%
40-31 عاماً	5	10%
43-41 عاماً	2	4%
المجموع	50	100%
الانتماء الديني	العدد	النسبة المئوية
مسلمات	44	88%
مسيحيات	6	12%
المجموع	50	100%
درجة التدين	العدد	النسبة المئوية
غير متدينة	16	32%
تقليدية	28	56%
متدينة	5	10%
آخر	1	2%
المجموع	50	100%

باستثناء أقلية قليلة جداً، فإن جميع المستبنيات حصلن على تعليم أكاديمي لأن هذا كان السبب الرئيس للانتقال إلى القدس (جدول 4). وعليه، فإن درجة التعليم لدى الفئة أكثر ارتفاعاً من المعدل العام في المجتمع العربي. أكثر من الثلث حصلن على شهادة الماجستير والدكتوراه. إن هذه النتائج قريبة من النتائج التي حصلت عليها حمدان حول الهجرة العربية من الناصرة إلى تسيرت عيليت إذ تميّزت هذه الفئة بدرجة تعليم عالية (حمدان 2003).

جدول 4: درجة التعليم في العينة ومعهد التعليم، 2004

درجة التعليم	العدد	النسبة المئوية
فوق ثانوية بدون شهادة أكاديمية	3	6%
بكالوريوس	29	58%
ماجستير ودكتوراه	18	36%
المجموع	50	100%
معهد التعليم	العدد	النسبة المئوية
الجامعة العبرية	20	40%
كلية دافيد يلين	25	50%
مدرسة التصوير	1	2%
آخر	4	8%
المجموع	50	100%

نحو نصف النساء في العينة درسن موضوع التربية الخاصة في كلية «دافيد يلين» ويعملن في جهاز التربية والتعليم في القدس الشرقية، ونحو 40% منهن درسن في الجامعة العبرية (جدول 4).

تبين أن هنالك نوعين من العراقيين تواجه هذه الفئة السكانية

جدول 2: تفسير النساء لاستمرار إقامتهن في القدس،

رقم	التفسير	هام جداً	هام	هام جداً	عدد الإجابات
1	جودة الحياة بصورة عامة	36,7	61,2	97,9	49
2	استمرار الدراسة في معهد تعليم عالي	69,4	24,5	93,9	49
3	فرصة عمل ملائمة للمؤهلات	75,0	18,8	93,8	48
4	مردود مالي جيد	63,3	28,6	91,9	49
5	أسباب أخرى مرتبطة بالتشغيل	41,7	47,9	89,6	47
6	البعد عن مكان العمل	54,0	26,0	80,0	49
7	أجور السكن	34,7	44,9	79,6	48
8	فرص الترفيه والتسلية واستهلاك في المدينة	26,0	52,0	78,0	50
9	الطابع الخاص للقدس	32,7	42,9	75,6	47
10	أسباب أيديولوجية	12,8	40,4	53,2	44
11	الرغبة للإقامة في مجتمع أنتمي إليه	20,8	29,2	50,0	47
12	قرب جغرافي من الأقارب والأصدقاء	14,3	32,7	47,0	47
13	حجم المسكن	14,3	24,5	38,8	47

عبّرت غالبية المستبنيات عن رضاهن من الحياة في المدينة، ووصفن القدس بأنها مدينة تتسم بطابع خاص، توفر كافة الخدمات الاجتماعية والثقافية المهمة لهنّ. كما عبّرت الغالبية عن الرضا من مستوى الخدمات العامة المتوافرة أمامهن في المدينة. وقرّر نحو 82% منهن الإقامة في القدس بصورة دائمة وعدم العودة إلى بلداتهن. نحو 8% فقط قررن هجرة المدينة.

خصائص فئة عينة البحث

يصل جيل غالبية المستبنيات إلى 30 عاماً، غالبيةن مسلمات ونسبة قليلة مسيحيات (جدول 3). تتسجم نسبة المستبنيات المسيحيات، وجميعهن من الجيل، مع نسبة السكان المسيحيين في المجتمع العربي في إسرائيل. أما بشأن درجات تدين المستبنيات فهي متباينة، إذ بلغت نسبة اللواتي عرفن أنفسهن كغير متديّنات نحو الثلث، وأكثر من نصفهن كتقليديات ونحو 10% منهن كمتديّنات. وعليه، يمكن الافتراض أن النساء (المسلمات) اللواتي انتقلن للإقامة في القدس أقل تديناً من المعدل العام بين النساء الفلسطينيات في الجيل والمثلث.



العمل الكثيرة في هذا المجال في سوق العمل في القدس الشرقية.

أما المجال الثاني الواضح فهو الخدمة الاجتماعية إذ يضم نسبة كبيرة جداً من النساء وبخاصة من منطقة المثلث. كذلك نلمس نقصاً في العمل في هذا المجال في البلدات العربية، وفي حالات كثيرة تكون الوظيفة جزئية فقط في هذه البلدات، الأمر الذي يزيد من عوامل الجذب نحو القدس. ويلاحظ في العينة وجود نسبة كبيرة من النساء المسيحيات العاملات في هذا المجال.

جدول 5: مجالات عمل النساء المشاركات في العينة بحسب مكان السكن السابق والانتماء الديني، 2004

مجال العمل	مكان السكن السابق					الانتماء الديني
	المثلث	الجليل	المجموع	النسبة	مسيحيات	
تدريس	12	23	35	70	4	31
خدمة اجتماعية	5	3	8	16	1	7
بحث	2	1	3	6	0	2
استشارة تربوية		1	1	2	0	1
تمريض		1	1	2	0	1
إدارة		2	2	4	1	1
المجموع	19	31	50	100	6	44

تعمل غالبية النساء (أكثر من الثلثين) في القدس الشرقية (جدول 6)، وبخاصة في مجالي التدريس والخدمة الاجتماعية، وقد تمّ استيعابهن جميعاً لخدمة المجتمع الفلسطيني في القدس الشرقية.

جدول 6: التقسيم الداخلي لأماكن عمل النساء المشاركات في العينة بحسب المنطقة، 2004

المنطقة	العدد	النسبة المئوية
القدس الشرقية	٣٤	٦٨%
القدس الغربية	١٦	٣٢%
المجموع	٥٠	١٠٠%

تعمل نحو نصف النساء المشاركات في العينة في وظيفة ثابتة وتعمل غالبية بوظيفة كاملة، بينما تعمل المتبقيات بصورة مؤقتة ونسبة كبيرة منهن تعمل بوظيفة جزئية (جدول 6). هذه التوزيعة الداخلية غير مفاجئة نظراً لجيل غالبية المستبيئات، وتتضح نسبة العاملات بوظيفة دائمة وكاملة - أكثر من ٢٠٪ منهن. كذلك، أشارت غالبية المستبيئات إلى أن وظائفهن تتلاءم ومجالات دراستهن، ووجدنا ٤ نساء فقط من بين ٥٠ النساء المشاركات في العينة يعملن في مجالات مختلفة عن مجالات دراستهن. كذلك، عبرت غالبية المستبيئات على رضا كبير وكبير جداً من مكان العمل (جدول ٧).

وفق مجالات تعليمها: أولاً، عراقيل خارجية نابغة من قيود تفرضها الدولة على المجتمع العربي. فقد تبين أن مجالات التعليم المتاحة أمام النساء العربيات محدودة وهي التربية والتعليم والخدمة الاجتماعية والصحة والخدمات الصحية. تنبع أسباب ذلك من المتطلبات العالية للتحصيل (البجروت والبسيخومتري) وشروط القبول التي تفرضها الجامعات على المواضع المرموقة، والتي لا تنجح غالبية الطلاب العرب في تخطيها. بحسب العينة، درست الغالبية المطلقة من المستبيئات مهنة التربية والتعليم (نحو 70%)، وبخاصة في مجال التربية الخاصة، في حين درس القسم الآخر مهناً «نسائية» أخرى، كالخدمة الاجتماعية والاستشارة التربوية والإدارة. ثانياً، العراقيل

الداخلية المرتبطة بالقيود التي يفرضها المجتمع العربي على النساء. توضح هذه القيود مسألة توجه الغالبية المطلقة للطالبات العربيات إلى موضوع التدريس، إذ يمكن حينها الدمج بين متطلبات العائلة ومكان العمل.

تبين خشيبون في بحثها الذي فحص مسألة مكانة المرأة العربية في إسرائيل ودرجة تأثير المبنى الاجتماعي والانتماء الديني ودرجة التدين على هذه مكانتها، أن النساء المنتميات إلى مجتمع محلي أكثر

عصرية تتمتعن بموارد شخصية عالية (متعلمات وعاملات)، قياساً بالنساء المنتميات إلى مجتمع محلي تقليدي (خشيبون 1999). وتستوي هذه النتائج مع بيانات البحث الحالي؛ إذ تبين أن النساء المشاركات في العينة فضلن الإقامة في القدس والاستمرار في التعليم العالي والبحث عن فرص عمل ملائمة لمستوى المؤهلات الشخصية، وعدم العودة إلى بلداتهن الأصلية بفعل الطابع التقليدي لهذه البلدات وانعدام أماكن العمل بين ظهرانيها.

مجالات العمل في القدس

تشارك جميع نساء العينة في سوق العمل في القدس، ويعود هذا إلى أن جميعهن لم يكونوا عائلات بعد ولسن مسؤولات عن عائلة ورعاية أطفال. وقد سادت مهنة التدريس بينهن، إذ تبين أن نحو 70% يعملن في هذا المجال (جدول 5). ويعتبر نقص أماكن العمل في مجال التدريس في البلدات العربية في الجليل والمثلث أحد الأسباب لإقامة هذه الفئة من النساء في القدس، حيث فرص العمل في هذا المجال تحديداً أكبر بكثير في القدس الشرقية منه في الجليل والمثلث. إن نسبة النساء العربيات العاملات في مجال التدريس في القدس أكبر بكثير من المعدل العام بين النساء العربيات العاملات في إسرائيل (70% مقابل نحو 30%)، وذلك بفضل مستوى تعليمهن العالي وتوافر فرص

في هذا المجال ومستوى التدريس المتدني في المدارس الحكومية في القدس الشرقية وتردّد الطلاب الفلسطينيين من تعلّم اللغة العبرية لأسباب سياسية.

لهذا نشهد تأثيراً متبادلاً بين جهاز التربية والتعليم الحكومي العربي في القدس وبين هذه الفئة من النساء. من جهة، فإن الاندماج في جهاز التربية والتعليم هذا هو أحد الأسباب الرئيسة لإقامتهن في القدس بعد انتهاء دراستهن الأكاديمية. ومن جهة أخرى، فإن هذه الفئة من النساء تُعتبر ضمان لاستمرار تدرّس مجال التربية الخاصة واللغة العبرية في جهاز التربية والتعليم هذا، وتعتبر عنصراً وسيطاً بين المجتمع الفلسطيني في القدس وبين المؤسسات الحكومية الإسرائيلية، أي جهاز التربية والتعليم الحكومي العربي في القدس الشرقية.

أدى الارتفاع في مستوى التعليم بين النساء العربيات إلى ارتفاع في مستوى التنافس على أماكن العمل المحدودة أصلاً في القرى والمدن العربية داخل إسرائيل، وبخاصة في جهاز التربية والتعليم الحكومي العربي، الذي رغم معاناته من نقص قرابة 4 آلاف وظيفة، يعاني من وجود فائض من الخريجين يبلغ قرابة 10 آلاف عاطلون عن العمل. ولكن الجهاز بموارده المحدودة لا يستوعب مدرسين جدد.

نتيجة لهذا، يفضل العديد من النساء اللواتي أنهين دراستهن الأكاديمية في مؤسسات التعليم العالي في إسرائيل أن يقمن في القدس ويندمجن في جهاز التربية والتعليم الحكومي العربي في القدس بدلاً من العودة إلى بلدتهن الأصلية. كذلك نشهد ظاهرة عمل قسم كبير منهن في وظائف جزئية بعد الظاهر لكونهن متحرّرات من الواجبات العائلية والرقابة الاجتماعية.

مواقع السكن في القدس

تقيم غالبية النساء المشاركات في العينة (نحو 60%) في حي «التلة الفرنسية» باستثناء نسبة قليلة تقيم في مركز المدينة (جدول 8). وقد فسّر جزء منهن الإقامة في حي التلة الفرنسية لكونه حياً راقياً وفتياً وقريباً من الجامعة العبرية والمركز الرياضي والبلدة القديمة، ولقربه من مكان العمل. ويتمتع حي «التلة الفرنسية» - خلافاً للوضع القائم في الأحياء العربية في القدس الشرقية - بمستوى خدمات عال وتوافر وسائل النقل وتنوعها (إذ لا تملك معظمهن مركبات خاصة)، إضافة إلى توافر الخدمات البلدية الضرورية في هذا الحي. من وجهة نظر هذه الفئة من النساء، فإن الإقامة في حي التلة الفرنسية يعني الابتعاد عن الرقابة الاجتماعية للمجتمع العربي في القدس الشرقية، وإمكانية العودة من الدراسة أو العمل في ساعات متأخرة من الليل.

تعيش نحو 30% من فئة النساء هذه في الأحياء الشمالية من

جدول 7: خصائص مكان عمل النساء المشاركات في العينة، 2004

نوع الوظيفة	العدد	النسبة المئوية
مؤقتة كاملة	12	24%
مؤقتة جزئية	14	28%
ثابتة كاملة	21	42%
ثابتة جزئية	3	6%
المجموع	50	100%
درجة الملاءمة لمجال الدراسة	العدد	النسبة المئوية
ملائمة بدرجة كبيرة	30	60%
ملائمة	16	32%
غير ملائمة	4	8%
المجموع	50	100%
مدى الرضا من الوظيفة	العدد	النسبة المئوية
راضية جداً	15	30%
راضية	28	56%
غير راضية كثيراً	5	10%
غير راضية بتاتا	2	4%
المجموع	50	100%

ينقسم اندماج النساء الفلسطينيات المشاركات في العينة في جهاز التربية والتعليم الحكومي في القدس الشرقية إلى مجالين رئيسين اثنين: الأول، مجال التربية الخاصة، والثاني تدرّس اللغة العبرية. إذ لا تدرّس الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية والقدس موضوعي التربية الخاصة واللغة العبرية، ويعاني جهاز التربية والتعليم العربي الحكومي في القدس الشرقية من نقص حاد في هذين المجالين، وهو ما يؤدي إلى استيعاب مدرّسين ومدّرّسات أُنهوا دراستهم الأكاديمية في هذين الموضوعين في جامعات وكليات إعداد معلمين إسرائيلية. وبالتالي فقد توافرت فرص عمل لهذه الفئة من النساء المقيمات في القدس لغرض الدراسة في الجامعة العبرية أو في كلية «دافيد يلين». وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن المدرّسين الفلسطينيين المقدسيين الذين تمّ استيعابهم في جهاز التربية الخاصة قد أُنهوا دراساتهم في مجال الخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع وتحولوا إلى التربية الخاصة بعد تأهيلهم مهنيًا في كلية «دافيد يلين» على أمل تثبيتهم في وظائفهم. ونشهد في السنوات القليلة الماضية ازدياداً في عدد الطلاب الفلسطينيين من القدس الذين يدرسون في معاهد إسرائيلية للتعليم العالي في القدس إلا أن عددهم لا يزال ضئيلاً.

لم تحصل غالبية المدرّسات الفلسطينيات المشاركات في العينة العاملات في جهاز التربية والتعليم الحكومي العربي على تأهيل لتدرّس اللغة العبرية، وتنبع مؤهلاتهنّ في هذا المجال من دراستهن باللغة العبرية في معاهد التعليم العالي. أما أسباب استيعابهن في مجال تدرّس اللغة العبرية في جهاز التربية والتعليم الحكومي العربي في القدس فيعود إلى النقص الحادّ



المدينة. ولصغر سن هذه الفئة، نجد أن نحو 20% منهم فقط يمتلكون مركبات خاصة بهن.

تشير ظاهرة إقامة هذه الفئة من النساء في أحياء يهودية في القدس، كحي «التلة الفرنسية»، إلى أن الاعتبارات التي وفتت في صلب قرارهم هذا هي القرب من مكان العمل والدراسة وتوافر الخدمات البلدية الضرورية. وبما أن هذا الحي يجمع بين القرب من الجامعة العبرية ومن الأحياء العربية حيث أماكن العمل، وبخاصة مؤسسات التربية والتعليم، وتوافر الخدمات البلدية والعامّة بجودة عالية. إضافة إلى ذلك، يوفر مثل هذا الحي فرص حياة عصرية ومستقلة. وعملياً من يختار الإقامة في الأحياء العربية، كحي «العيصاوية» المتاخم لحي

«التلة الفرنسية»، حيث تكاليف تأجير البيوت أدنى، هن فئة النساء المتدينات اللواتي ترفضن الإقامة في أحياء يهودية وتفضّل الأحياء العربية التي تمنحهن الشعور بالانتماء. وقد أقامت في حي بيت صفا، الذي يتسم بالطابع القروي، فئة قليلة من النساء عرّفن أنفسهن كتقليديات، لبعدها عن مؤسسات التعليم العالي ومركز التشغيل في القدس الشرقية.

استنتاجات

تشير ظاهرة إقامة نساء فلسطينيات من الجليل والمثلث في القدس إلى عملية أوسع تتحوّل وفقها القدس إلى أحد الأماكن الأكثر جذباً للهجرة العربية إليها من الجليل والمثلث. لا نشهد في هذه المرحلة ظاهرة هجرة كبيرة، ولكن تشير العملية إلى تحوّل من شأنه التأثير على المجتمع الفلسطيني في إسرائيل وفي القدس في الوقت ذاته.

تميّز السكّان الفلسطينيون مواطني إسرائيل بعدم سعيهم للهجرة من بلداتهم إلى أماكن أخرى في البلاد بفعل عراقيل داخلية وأخرى خارجية شديدة، وتظهر للعيان بصورة خاصة نزعة سكّان القرى الصغيرة وتلك القائمة

في الأطراف عدم الهجرة إلى الحواضر المدنية الكبيرة. اتسمت الفئات الصغيرة التي هاجرت في السابق إلى المدن الكبيرة، وبخاصة إلى منطقة تل أبيب، بكونها فئات ضعيفة وهامشية. خلافاً لذلك، تعكس الهجرة إلى القدس والإقامة فيها تحوّلًا في سلوك السكّان الفلسطينيين في الجليل

والمثلث باتجاه أنماط الهجرة «الطبيعية»، أي كهجرة بقية المجموعات والفئات الأخرى في البلاد وفي العالم. إن المهاجرين بغالبيتهم في جيل الشباب، ومتعلّمين، وعصريين قياساً بخصائص

القدس الشرقية: شعفاط وبيت حنينا والعيصوية، لسبب القرب الجغرافي لهذه الأحياء من أماكن العمل والدراسة. وتقيم نسبة قليلة منهم في حي بيت صفا في جنوب القدس (جدول 8) لسبب بعده الجغرافي عن أماكن العمل والدراسة، وقد أقامت فيه النساء اللواتي يعملن بمحاذاة هذا الحي. ونشهد تفضيل العديد ممن قدمن من منطقة المثلث الإقامة في أحياء القدس الغربية، بينما تفضّل وتقيم نصف النساء القادمات من منطقة الجليل في أحياء عربية في القدس الشرقية وبيت صفا.

جدول 8: مكان إقامة النساء بحسب مكان الإقامة السابق، 2004

مكان الإقامة في القدس	مكان الإقامة السابق				المجموع	النسبة المئوية
	الجليل	النسبة المئوية	المثلث	النسبة المئوية		
القدس الشرقية (العيصوية وبيت حنينا وشعفاط)	11	35%	3	16%	14	28%
القدس الغربية (التلة الفرنسية ومركز المدينة)	16	52%	14	74%	30	60%
بيت صفا	4	13%	2	11%	6	12%
المجموع	31	100%	19	100%	50	100%

تعتبر درجة التدين أحد الأسباب التي تؤثر على اختيار مكان الإقامة. ويظهر أن الأقلية التي عرّفت نفسها كمتدينة فضلت الإقامة في الأحياء العربية في القدس الشرقية، بينما تتوزّع النساء اللواتي عرّفن أنفسهن كتقليديات في جميع أنحاء المدينة وبخاصة في حي بيت صفا، إذ عرّفت جميع النساء المقيمات في بيت صفا أنفسهن كتقليديات. وتقيم جميع النساء اللواتي عرّفن أنفسهن غير متدينات في أحياء القدس الغربية (جدول 9).

جدول 9: مكان إقامة النساء بحسب درجة التدين، 2004

مكان الإقامة	القدس الشرقية	القدس الغربية	بيت صفا	النسبة المئوية	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
غير متدينة	4	25%	0	50%	0	16	32%
تقليدية	8	55%	6	42%	6	28	56%
متدينة	4	20%	0	4%	0	5	10%
أخر	0	0%	0	4%	0	1	2%
المجموع	14	100%	6	100%	6	50	100%

تقيم جميع النساء في بيوت مستأجرة باستثناء واحدة تقيم في بيت بملكية خاصة. ويمكن تفسير هذا بأن هذه الفئة تتكوّن من نساء قدمن إلى القدس كعازبات وليس لهن عائلات في هذه

التربية والتعليم الذي يعاني من نقص كبير في الوظائف وفائض أكبر في الخريجين. وعليه، فإن فرص العمل هي العامل الأساس المؤثر على قرار هذه الفئة من النساء بالإقامة في القدس بعد انتهاء الدراسة الأكاديمية بدلاً من العودة إلى بلداتهن الأصلية. تتسم هذه الفئة من النساء المقيمت في القدس بكونهن شابات وعصريات وذوات درجة تدين منخفضة نسبياً. بفعل الإقامة في القدس والدراسة تمر هذه الفئة من النساء بالعديد من التجارب والخبرات الحياتية التي تدفعها نحو تبني أنماط حياة أكثر عصرية وغربية. فقد أشار البعض منهن أنهم بعد اختبار الحياة بصورة مستقلة أصبح يجدون صعوبة في العودة إلى بلداتهن الأصلية والإقامة مع باقي أفراد العائلة في البيت ذاته، بكل ما يحمل ذلك من دلالات على صعيد الرقابة الاجتماعية. الخصوصية أمر هام بالنسبة لهذه الفئة من النساء، اللواتي تجدن صعوبة في الخضوع لطلبات أفراد العائلة على صعيد تقييد حركتهن. يتم التعبير عن هذه التغييرات أيضاً عبر سعيهن لتحقيق الذات: الحصول على تعليم عال والعمل والبحث عن آفاق مستقبلية لمهنهن. إن مجرد الإقامة خارج بيت العائلة، بعيداً عن بقية أفراد العائلة، يعتبر ظاهرة عصرية. على الرغم من ذلك، تشير نتائج البحث إلى أن هذه الفئة من النساء لم تستطع بعد تخطي المهن التي يُنظر إليها على أنها مهن نسائية. كذلك، يتم التعبير عن النزعة إلى العصرية من خلال تفضيلهن الإقامة في أحياء يهودية، وبخاصة في حي «التلة الفرنسية»، إذ يعتبر هذا الحي مريحاً بصورة خاصة لهن، لقربه من الجامعة العبرية وتوفيره خدمات بلدية بجودة عالية ولقربه من الأحياء العربية في القدس الشرقية (التي توفر أماكن عمل مناسبة لهذه الفئة كما جاء أعلاه إضافة إلى الخدمات الخاصة بالمجتمع الفلسطيني، كجهاز التربية والتعليم الخاص).

خلافاً لذلك، لا تتمتع البلديات العربية بثلاثة عناصر حيوية على صعيد حرية اختيار المحيط، هي: (1) سهولة الوصول (2) التنوع (3) الجودة. فالنساء اللواتي اخترن العودة إلى بلداتهن الأصلية لا يتمتعن بخدمات ذات جودة عالية كالتي تتمتع بها في القدس. كذلك الأمر بخصوص أماكن العمل: لا تتمتع النساء العازبات والنساء العربيات المتزوجات من إمكانية وصولهن إلى أماكن عمل معينة بسهولة كما هو الحال في القدس. تحظى النساء في البلديات العربية بخدمات محدودة وبجودة متدنية، كما يضع البعد عن مراكز التشغيل العراقي أمام الوصول إلى خدمات بديلة، وكذلك الأمر بالنسبة للنقص في المواصلات العامة الملائمة في البلديات العربية في الجليل والمثلث الذي بدوره يضع العراقي أمام تبني نمط أسلوب حياة اعتيادي. لذا، فإن العودة إلى البلديات العربية تعني الانقطاع عن المحيط المدني المنفتح والذي يوفر الحراك الاجتماعي، بينما تعتبر

السكان في بلداتهم الأصلية، ويجذبون لفرص العمل في المراكز المدنية الكبيرة. تكمن خصوصية القدس كبلد للهجرة لتوفيرها فرص عمل كثيرة للفلسطينيين القادمين من الجليل والمثلث. بداية تأتي النساء الفلسطينيات من الجليل والمثلث إلى القدس بغية الدراسة في معاهد التعليم العالي الموجودة في المدينة. ليس هذا بالأمر الجديد، وإنما يمكننا أن نقول بأن ثمة تآكلاً في قدرة جذب هذه الفئة من النساء إلى القدس كمركز للتعليم العالي، إذ ظهرت منذ التسعينيات العديد من معاهد التعليم العالي خارج منطقة القدس (روزن ورزين 2004)، وظهرت العديد منها بمحاذاة البلدات العربية، مجموعة من الكليات في وسط البلاد وشمالها، إضافة إلى جامعة حيفا في الشمال وجامعة بن غوريون في النقب.

ولكن تكمن جاذبية القدس للنساء الفلسطينيات من الجليل والمثلث لكونها بعيدة، الأمر الذي من شأنه تحريرهن من الرقابة الاجتماعية الشديدة ومن التزامات عائلية تحدّد سلوك النساء العربيات في بلداتهن الأصلية. إلا أن هذا السبب وحده ليس كافياً لتحويل القدس إلى الأكثر جذباً للهجرة إليها، وذلك بفعل وجود معاهد للتعليم العالي في مدن أخرى تمنح هذه الفئة من النساء فرصة الابتعاد عن بلداتهن.

يكمن السبب الأول لكون القدس هي المدينة الأكثر جاذبية للنساء الفلسطينيات من الجليل والمثلث في خصائص أماكن العمل التي توفرها المدينة لهذه الفئة تحديداً، إذ تتوافر العديد من فرص العمل يمكن للفلسطينيين مواطني إسرائيل تشكيل «طبقة وسيطة» بين مؤسسات الدولة، من بينها بلدية القدس، وبين المجتمع الفلسطيني في القدس الشرقية.

يصل تعداد المجتمع الفلسطيني في القدس الشرقية المحتلة نحو ربع مليون نسمة، يعتبرون سكاناً في دولة إسرائيل لكنهم ليسوا مواطنين، ولا يجيدون اللغة العبرية، كما يعانون من نقص القدرات المهنية التي تحتاج إلى خلفيات دراسية معينة في بعض المجالات. لقد وجدنا أن غالبية هذه الفئة من النساء تعمل في مجال التربية الخاصة وتدرّس اللغة العبرية في جهاز التربية والتعليم الحكومي وفي مجال الخدمة الاجتماعية في القدس الشرقية. يمكن الافتراض أن هذا التركيز لمثل هذه الفئة من النساء في القدس يشير إلى ظاهرة آخذة بالاتساع، وتشمل اتجاهات عمل إضافية في مجالات الخدمات العامة والتجارة، إذ توفر القدس فرص «وساطة» عديدة للسكان الفلسطينيين القادمين من الجليل والمثلث، الذين يجيدون اللغتين العبرية والعربية ويتمتعون بقدرات مهنية ملائمة ليست متوافرة بما يكفي بين سكان القدس الفلسطينيين.

إن توافر فرص العمل في القدس هو نقيض الواقع في البلديات العربية في الجليل والمثلث، وبخاصة فرص عمل في جهاز



ثبت المراجع

باللغة العربية:

1. عبد المعطي، عبد الباسط (١٩٩٠). الهجرة الريغية الحضرية في مصر: تحليل تاريخي ومعاصر، بيروت: معهد الانماء العربي.

باللغة العبرية:

1. آييل، ג' (2005). הסרת הקסם מן המזרח، ירושלים ותל אביב: מכון ון-ליר והוצאת הקיבוץ המאוחד.
2. אלפנדר، ט' ושפר، ד' (1992). הגירה אל ומערי פיתוח בישראל، חיפה: הטכניון. המרכז לחקר העיר והאזור.
3. גונן، ע'، וחמאיסי، ר' (1993). מגמות בתפרוסת האוכלוסייה הערבית בישראל. ירושלים: מכון פלורסהיימר למחקרי מדיניות.
4. ונונו، ג' (2001). "השלטון המקומי במגזר הערבי"، ד' אלעזר וח' קלכהיים (עורכים). השלטון המקומי בישראל. ירושלים: המרכז הירושלמי לענייני ציבור ומדינה، עמ' 247-171.
5. חושן، מ' (1989). "הגירה לשוליים לאומיים - תהליכים ומדיניות"، חיבור לתואר דוקטור לפילוסופיה، האוניברסיטה העברית בירושלים. ירושלים: [חמו"ל].
6. חושן، מ'، חסון، ש' וקמחי، י' (2004). ירושלים בת קיימא: סוגיות בפיתוח ובשימור. ירושלים: מכון ירושלים לחקר ישראל.
7. חמדאן، ה' (2003). "סמיכות מגורים בין ערבים ויהודים: נקודת המבט של ערבים המתגוררים בנצרת עילית"، חיבור לתואר מוסמך، הטכניון، חיפה: [חמו"ל].
8. ח'שיבון، ס' (1999). "קהילה، משפחה ומעמד האישה הערבייה בישראל"، חיבור לתואר מוסמך، אוניברסיטת חיפה، חיפה: [חמו"ל].
9. מנאע، ע' (1997). שוליות כפולה: פלסטינים ישראלים בירושלים، ירושלים: מכון ירושלים לחקר ישראל.
10. רדיין، ע' (2002). "המדיניות הגיאוגרפית של ממשלת ישראל לקליטת העלייה הגדולה בראשית שנות התשעים"، חיבור לתואר דוקטור לפילוסופיה، האוניברסיטה העברית בירושלים. ירושלים: [חמו"ל].
11. רוזן، ג' ורזין، ע' (2004). המרוץ אחר המכללה: תחרות בין רשויות מקומיות בישראל על מוסדות להשכלה גבוהה، ירושלים: מכון פלורסהיימר למחקרי מדיניות.
12. שכל، י' (1994). זהות מצוירת טריטוריה، רעננה: המרכז לחקר החברה הערבית בישראל.

باللغة الإنجليزية:

- Clark, W. A. V. (1986). *Human Migration*, Beverly Hills, CA: Sage.
- Hsin-Chun, J. (2006). "Relational Experiences of Partnered Japanese Immigrant Women with Affect Disorders", *Journal of Advanced Nursing*, 53, 513-523.
- Lipshitz, G. (1998). *Country on the Move: Migration to and within Israel, 1948-1995*, Bar-Ilan: Bar-Ilan University Press.
- Weiner, S. (1980). *Immigration to Israel and the Problems of Multi-Cultural Absorption*, Bristol: University of Bristol.
- Weingrod, A. and Manna, A. (1998), "Living along the Seam: Israeli Palestinians in Jerusalem", *International Journal of Middle East Studies*, 30, 369-386.

الإقامة في القدس، أكبر مدينة في البلاد، فرصة للتمتع بالخدمات العامة والاجتماعية والتجارية والمالية التي تتيحها المدينة، خاصة في أحيائها الغربية.

تختبر فئة النساء هذه في القدس حياة مركبة. فتلك الفئة التي تقيم في أحياء يهودية وتعمل في أماكن عمل في أحياء عربية (كمدارس في مدارس حكومية أو في حقل الخدمة الاجتماعية)، تعيش حياة تجمع بين الحياة التقليدية والحياة العصرية. لذا يفضلن الإقامة في حي يهودي متطور وتتمتع بخدمات ضرورية متطورة بينما يعملن في أحياء عربية تقليدية وغير متطورة. وبالتالي، يتعين على هذه الفئة ملاءمة سلوكها للسلوك السائد في الحي حيث يعملن ويسكنن، والجمع بين القيم العصرية والتقليدية بغية الاستمرار بحياتها في مدينة مختلطة.

للتلخيص، تؤدي بنا نتائج البحث إلى الإشارة إلى سؤالين اثنين رئيسيين. يتصل الأول بدلالات عملية الهجرة التي توقفتنا عند توصيفها أعلاه في كل ما يرتبط بخصائص المجتمع الفلسطيني في إسرائيل بصورة عامة. هل من شأن هذه العملية أن تتسارع أم تبقى على حالتها الهامشية؛ وهل تشير إلى بداية تحول أكبر وأوسع على صعيد أنماط هجرة أفراد وعائلات من المجتمع الفلسطيني في إسرائيل؟ هل تشير هذه العملية إلى تغيير اجتماعي أوسع أيضًا، أم أنه مجرد تطور موضعي، لا يحمل في طياته سوى تأثير هامشي على المجتمع الفلسطيني في إسرائيل؟

إن مستوى رضا الفلسطينيين القادمين من الجليل والمثلث من إقامتهم في القدس ومن فرص العمل ظاهرة جدًا. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أننا نشهد ظهور خطاب يهودي يعبر عن نقد حاد بشأن جاذبية المدينة لدى الفلسطينيين من الجليل والمثلث. هل يمكن أن تواصل القدس توفير هذا الحراك الاجتماعي الاقتصادي الكبير للفلسطينيين من الجليل والمثلث، أم أننا سنشهد ظهور عراقيل وقيود جديدة في سوق العمل وتأجير البيوت وفي مجال التربية والتعليم، الأمر الذي من شأنه اختزال الظاهرة إلى بضعة مجالات محدودة؟

يرتبط السؤال الثاني بتأثير عملية الهجرة على القدس، على الصعيد الديموغرافيا الاجتماعية للمدينة والعلاقات بين المجموعات السكانية المختلفة التي تقيم فيها. هل سنشهد انحصارًا حيزيًا كبيرًا للسكان الفلسطينيين القادمين من المثلث والجليل في أحياء معينة، كحي التلة الفرنسية، على سبيل المثال، أم سنشهد توزيعًا كبيرًا بين الأحياء اليهودية والعربية العديدة؟ هل سنشهد تحولًا لمكانة هذه الفئة السكانية بحيث تلعب دور الجسر الذي يربط بين القدس اليهودية والقدس العربية، أم أن وظيفتها المركبة كوسيط سيؤدي إلى ظهور احتكاكات جديدة؟